الثوب الفلسطيني مقاوم أيضاً

الوفاق/ خاص
رُلى فرحات

المرأة الفلسطينية حاضرة في كل ساح وجاهزة لأي نوع من المواجهة وهي أقوى من أن تُهزم. فالتّاريخ يشهد على بسالتها ومقدرتها وعلى إيمانها بأرضها وصبرها على جراحاتها. كيف لا، ومنذ أن وُلدت وهي تنسج قصة موطنها وتُدون بالإبرة حكاية عمرها على الثوب الذي يخرج من بين أيديها تحفة فنيّة مزخرفة بالنقوش وبالألوان التي تدلّ على مسقط رأسها وتُشير إلى أحواله وشؤونه وأحوال صاحبته وحياتها ووضعها الاجتماعي.

لقد كان التطريز جزءا مهما في حياة المرأة الفلسطينية، منذ نعومة اظفارها عندما تستطيع الإمساك بالإبرة وتتحكم بخيطها تشرع بتعلّم هذا الفن من أمها وجدتها. فتبدأ الفتاة بعمر صغير جداً بتزيين مقتنياتها وثيابها بأناملها الصغيرة، وتتقن في إختيار الألوان وتنسيقها وفي تطريز أشكال الغرز المختلفة فتسابق أقرانها وتعمل بجد حتى تتميز عنهن في تطريز جهاز عرسها والذي عادة ما يشمل أغطية، وشراشف، ووسائد ومحارم وأثواب، فتُثبت براعتها وتفوقها وتستحق تميّزها أمام عريسها وفتيات منطقتها. وهكذا ينتقل فن التطريز من الجدة إلى الأم ثم إلى الحفيدة فينتقل عبر الأجيال.

كانت أيام الأعياد والتسوّق فرصة النّساء المثاليّة لتبادل الرّسوم والتعّرف على نماذج تطريز مختلفة ومتنوعة. فالنساء حين تتجمعن في الأسواق يخلقن لوحة جغرافيّة فنيّة بتقاطيع الزمان وببصمة الأمكنة، فكان بالإمكان تمييز المنطقة التي تنتمي إليها كل واحدة منهن من التطريز الذي يزين ثوبها الذي يختلف شكله بحسب المنطقة الجغرافية، بل أنّه يُمكن تحديد القرية من طريقة تنسيق الثوب وما يكتسيه من رسوم وأشكال تطريزية والّتي يتم تبادلها ودمجها وخلق جديد منه عند الزواج بين الرجال والنساء من قرى مختلفة. فرصة أخرى لنقل الرسوم بين القرى المختلفة، ثم تطورت وسائل النقل من قطارات وحافلات وسهّلت التنقل بين القرى وزيارات الأهل، وتبادل الرسوم التطريزيّة، وهكذا عبر الأجيال أكسبت التغييرات البسيطة الثوب رونقا متجددا، وأرضت رغبة النساء في خلق عالمهن الجمالي الخاص.

كانت النسوة من القرويات والبدويات يطرزن بخيوط الفضة والحرير والذهب منطقة الأكتاف والجوانب والأكمام والصدر في الثوب. ويستخدمن هذه الخيوط في تصاميم على شكل حليّ وتطريز زخارف نباتيّة، في بيت لحم. أمّا في حيفا فقد رسمن البرتقال، وفي الجليل بشمال فلسطين طرزن بالخيوط الحمراء والزرقاء الأزهار وأوراق الشجر، في قرى نابلس وطولكرم تُزين الاثواب بشرائط ملونة و تقل التطريزات، وفي بئر السبع استوحت النساء نقوش ثيابهن من السماء فزيّنتها بأشكال النجوم لأن هناك تقل الأشجار، وفي الخليل نسجت النساء أشكال العنب والزيتون.

تنوع فن التطريز وتميّزت الغرز، فالنساء في المدن يلبسن لباسا متأثرا بالزي العثماني، وفي القدس وبيت لحم تظهر غرز أخرى مثل التحريرة والتلحمية، والقرى التابعة ليافا وبئر السبع والخليل ورام الله وغزة لبست النساء الزي التقليدي، وكانت غرزة التطريز الفلاحي تُستخدم بكثرة، ، فيما كانت من ناحية ثانية، فقد استوحى الزي الفلسطيني ألوانه من الطبيعة، من الأصالة والعراقة من شرف الحياة وعرضها يُساوي الأرض. فاللون البني من لحاء الشجر، ومن الزعفران جاء اللون الأصفر، ومن نبات النيلة جاء اللون الأزرق، واللون الأحمر الأرجواني استوحوه من صدفة الموركس التي تُجلب من ساحل البحر المتوسط. هذه الألوان في التطريز تعبّر عن حياة المرأة الفلسطينية، فالفتاة ترتدي ثوبا مطرزا باللون الأزرق، بعد الزواج تطرز أثوابها باللون الأحمر، والأرملة تغطي الغرزة الحمراء باللون الأزرق، وتطعّمها بألوان أخرى، وحين تكبر المرأة بالعمر تميل لاختيار تطريزات أخف، وتختار ألوانا داكنة.

تاريخ الثوب الفلسطيني

وتشير المصادر التاريخيّة إلى انتشار مشاغل النسيج في أنحاء فلسطين في العصور الإسلاميّة، وكانت غزة من أقدم المدن التي اشتهرت بصناعة النسيج إلى جانب الناصرة والمجدل. وقد حلّت ضائقة مالية قبل نكبة ١٩٤٨ وقد أدّى ذلك إلى إرتفاع ثمن الخيوط والأقمشة التي اعتادت النساء الحصول عليها، وكذلك تعذر دخولها إلى الأسواق كما كان سابقا، وعليه صار من النادر أن تنتج النساء أثوابا جديدة. أتت النكبة في ١٥-٠٥-١٩٤٨، وخرجت نساء القرى في فلسطين بتلك الثياب التي تحمل قصة أيامهن، وبقي الثوب، مع مفتاح الدار، إحدى الذكريات القليلة التي حملتها النساء، بعد ضياع الأرض. كذلك لم يسلم من محاولات السرقة والطمس مثل كل التراث الفلسطيني، وصار ميدانا لمعارك متكررة بوجه الإدعاءات المتكررة بأنه أحد الموروثات «الإسرائيلية». فكانت الأحداث تُلقي بظلالها على النقوش والتطريزات التي يحملها الثوب الفلسطيني الذي يحمل عناصر الطبيعة في كل قرية: عباد الشمس والنخيل والسنبلة وزهر البرتقال، والزهرة. وأضاف كل جيل عنصرا تأثر به، فدخلت على الثوب عناصر أخرى شيئا فشيئا، فقد ظهر الهلال والنجم في التطريز من وحي العَلَم العثماني. وخلال فترة الانتداب البريطاني بدأ استيراد أنواع مختلفة من الأقمشة الأوروبيّة، فاختلفت أنماط التطريز وأنواع الخيوط وكذلك نعومة وجودة القماش، وظهرت حينها ألوان جديدة على التطريز الفلسطيني وأصبح بالإمكان استخدام مجسّمات وأشكال أكثر تعقيدا مثل النباتات والأزهار والحيوانات والطيور والجِرار.

وبعد النكبة، ومع تفاقم الضائقة الماليّة، لجأ بعض النساء إلى بيع أثوابهن إلى المتاحف بسبب الحاجة إلى النقود، وكانت الباحثة الفلسطينية وداد قعوار إحدى مَن تسابقن للحصول على تلك الأثواب الثمينة، يبلغ عدد الأثواب التي تحتفظ بها في متحفها اليوم نحو ثلاثمائة ثوب عربي.

أمّا في المخيمات، وبفعل الاختلاط بين النساء من عدة قرى ومناطق، فقد ظهر شكل جديد للثوب الفلسطيني، مزج بين الأشكال والتنسيقات والغرز التطريزيّة بين أكثر من منطقة وقرية، ولم يعد بالإمكان تمييز المنطقة التي تنتمي إليها صاحبته بعد ذلك.

السرقة الصهيونية العلنيّة للتراث الفلسطيني

نشرت زوجة موشيه ديان، وزير الدفاع الإسرائيلي، في ستينيات القرن الماضي، صورة لها في الموسوعة الإنجليزيّة وهي ترتدي الثوب الفلسطيني في زيارة رسميّة إلى البيت الأبيض، باعتباره ثوبا «إسرائيليا»، وقد جمعت عددا من الأثواب والمشغولات الفلسطينيّة وأقامت معرضا لها وأرشفت محتوياته على أنها تراث «للكيان». وعلى ذات النهج، كان عدد كبير من المسؤولين في الحركة الصهيونيّة يصطحبون زوجاتهم في الزيارات الرسميّة وهن يرتدين الزي الشعبي الفلسطيني. ليس هذا فحسب بل ظهرت ملكات جمال العالم أثناء زيارتهن المتعاقبة إلى الأراضي الفلسطينيّة المحتلة بالثوب التقليدي الفلسطيني باعتباره تراثا إسرائيلياً. بالإضافة إلى إعتماد شركة طيران العال (إلى السماء) الزّي الشعبي الفلسطيني زيّاً لمضيفاتها، ووزعت كتيبات تحمل معلومات عن التراث الفلسطيني وتقدمه للقراء على أنه تراث «صهيوني».

الثوب الفلسطيني رمز للمقاومة المستمرة

إنّ المعركة الثقافيّة والحضاريّة والفكريّة والعقائديّة لا تقل أهميّة عن المعركة حول الأرض، فالجهاد مستمر لتثبيت الهويّة الفلسطينيّة الأم والتأكيد على أنّهم أصحاب الأرض وأهل الحق أمام محاولات الإحتلال الدائمة لطمس الهويّة وسرقة كل ما تصل إليه يداه. وقد تمّ تسجيل الثوب الفلسطيني بإسم الكيان في المجلد الرابع من الموسوعة العالمية (Encyclopedia) عام ١٩٩٣، وبعد جهد سنوات من المقاومة والإصرار، تمّ تصحيح المعلومات وتسجيل الحقيقة بأنّ "الثوب الجديد" هو ثوب فلسطيني وقد تمّ ذلك عام ٢٠٠٧.

وما عُرف بـ«الثوب الجديد» بدا وكأنه يوحد فلسطين، ولعب دورا مهما في الإنتفاضة الأولى، فقد كان ارتداؤه بما يحمله من رمز للهويّة الفلسطينيّة بديلا عن رفع العلم أحيانا، وراحت النّساء يطرزن عليه خارطة فلسطين، والحروف الأولى من اسم منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف) بألوان العلم الفلسطيني الأربعة: الأحمر والأخضر والأبيض والأسود، وحمل ثوب الانتفاضة نقوشا جديدة أبرزها أغصان الزيتون وحمامة السلام. وفي عام ٢٠٢١ أدرجت منظمة الأمم المتحدة للتربيّة والعلم والثقافة (اليونسكو) «فن التطريز في فلسطين» على لائحتها للتراث الثقافي غير المادي، لتحقق المقاومة الثقافيّة انتصاراً آخر يحمي أحد أهم عناصر الهويّة من محاولات السرقة الإسرائيلية. وهذا إذ يُؤكد أن الثوب الفلسطيني وثيقة وهويّة وسلاح يُحافظ به على التراث من خلال جهد المرأة الفلسطينية التي كانت أمينة في حرصها على نقل التراث الموروث الذي ارتبط بالأرض والشجر، إلى الأجيال الأخرى، حيث أنّه لدى كل إمرأة أو فتاة فلسطينيّة ثوباً مطرزاً أو شالاً مميزاً تحتفظ به للمناسبات المهمّة... فالجهود مستمرة ولن تتوقف ليحتوي كل منزل فلسطيني على الأقل قطعة تُعبّر عن الهويّة الفلسطينيّة، من ثياب أو مرايا أو حقائب وغيرها من القطع التي تحكي عن فلسطين كما عرفها الأجداد والآباء والأحفاد.

> الثوب الفلسطيني وثيقة وهويّة وسلاح يُحافظ به على التراث من خلال جهد المرأة الفلسطينية التي كانت أمينة في حرصها على نقل التراث الموروث الذي ارتبط بالأرض والشّجر إلى الأجيال الأخرى

● اخبار قصيرة

تطوير التعاون السياحي بين يزد وسنغافورة

الوفاق/ في لقاء بين محافظ يزد وسفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية في سنغافورة، تم التعريف بقدرات محافظة يزد لتبادل الخبرات والتواصل المستمر في مجالات السياحة والاقتصاد. وقال مهران فاطمي محافظ يزد: سنغافورة من الدول التي عملت بشكل جيد في مجال السياحة، وإن شاء الله ستؤدي هذه الزيارات ونشاطات السفير الإيراني لدى سنغافورة إلى تحسن مستوى العلاقات التجارية والاقتصادية والسياحية.

وأضاف سفير إيران لدى سنغافورة بهنام بلوريان: "السياحة هي أحد المجالات المهمة التي يمكن أن نتعاون فيها". وكانت دراسة محركات التنمية والتقنيات المستخدمة في هذا البلد من أجل إفادة المحافظة وتطوير الروابط التجارية والسياحية من بين القضايا الأخرى التي تمت مناقشتها في هذا الاجتماع.

تسجيل ٦ فعاليات في جلستان بالتقويم السياحي للبلاد

الوفاق/ أعلن المدير العام للتراث الثقافي والسياحة والحرف اليدوية في محافظة جلستان، عن تسجيل ست فعاليات سياحية لهذه المحافظة في روزنامة الفعاليات السياحية في البلاد حتى الآن. وقال محمد جواد ساوري إن الفعاليات السياحية تشمل الطقوس والاحتفالات والمهرجانات والمناسبات الخاصة التي يتم تنفيذها لتحقيق أهداف وغايات اجتماعية وثقافية. والحفاظ على الثقافة المحلية لأبناء هذه المحافظة وتم تسجيل ست فعاليات سياحية لهذه المحافظة في روزنامة الفعاليات السياحية للبلاد.

وأكدساوري أن الفعاليات تشكل حافزاً مهماً للسياحة للتعريف بالطقوس والاحتفالات والمهرجانات التي تقام في المناسبات الخاصة ولها دور فعال وبارز في برامج التطوير والتسويق، وذكر: تسجيل الفعاليات السياحية يجعل الحدث معروفاً بشكل أفضل وعلامة تجارية على المستوى الوطني والدولي، بالإضافة إلى خلق موجة من السفر، خاصة في الموسم السياحي للمحافظة.

وأشار إلى أن الفعاليات يتم اختيارها على المستوى الوطني والإقليمي والمحلي، وأضاف: تسليط الضوء على الأحداث المحلية يمكن أن يستهدف جزءاً من رحلات السيّاح إلى محافظة جلستان ويجعل السياحة أكثر ربحية للمحافظة، وخاصة المناطق الريفية. مؤكداً أن هذه الفعاليات يمكن أن تؤدي إلى تنمية السياحة وزيادة الحيوية الاجتماعية، وقال ساوري: مهرجان الوجه (هلي)، مهرجان اختيار أجمل الخيول التركمانية الأصيلة (آق قلا)، مهرجان اختيار الإبل التركمانية (آق قلا). ومهرجان خريف آلاف الألوان (جرجان) ومهرجان جمال الخيول التركمانية الأصيلة (علي آبادكتول) ومهرجان الفراولة (راميان) من المهرجانات المسجلة في روزنامة الفعاليات السياحية في البلاد.

نائب وزير التراث الثقافي:

استخدام التقنيات الحديثة يساعد في نقل الهوية التاريخية للشعوب

الوفاق/ قال نائب وزير التراث الثقافي والسياحة والحرف اليدوية: «يجب أن يكون أصحاب المتاحف متخصصين في التسلسل الزمني وخبراء، من خلال الحفاظ على الأصالة والجذور التاريخية واستخدام التقنيات الحديثة، ليساعدوا في نقل الهوية التاريخية للشعوب». واضاف علي دارابي خلال اجتماع مديري وخبراء التراث الثقافي وعلم المتاحف الإيرانيين الذين سافروا إلى بكين للمشاركة في الدورة التدريبية «رقمنة ونقل تجارب المتاحف الصينية» في نفس وقت اقامة معرض «مجد حضارة إيران وتاريخها»: إن عقد هذه الدورات سيساعدنا جميعاً على التعلم من إنجازات الآخرين وتجاربهم الناجحة وتطبيقها في مجال عملنا، وآمل أن تكون هذه الدورة ذات فائدة كبيرة في تحسين المعرفة التقنية والمتخصصة ومهارات علم المتاحف.

وقال دارابي: إن إقامة هذه الدورة التدريبية بالتزامن مع معرض «روعة إيران القديمة» الذي ينظمه المتحف الوطني الإيراني في قصر متحف المدينة المحرمة في بكين أمر ميمون، وأتمنى إقامة معارض متحفية والتعاون في مجال التراث الثقافي بين إيران والصين يتوسع يوما بعد يوم.

وأشار إلى استقبال المواطنين الصينيين لمعرض «مجد حضارة إيران وتاريخها» قال: في اليوم الثاني من المعرض، تم بيع جميع تذاكر المعرض قبل أسبوعين، وهذا دليل على اهتمام العالم بعظمة حضارة وثقافة وفن الإيرانيين.

وقال دارابي: إن إيران والصين تربطهما علاقات تاريخية منذ آلاف السنين، وقد تم اتخاذ إحدى الخطوات الأولى على طريق الحرير قبل أكثر من ألفي عام. «ميناء سيراف» اسم معروف لدى أهل الصين بالتجارة والشحن والتجارة، مثل «الخليج الفارسي» و«هرمز». وأشار إلى أن «المتاحف» أصبحت اليوم رمزا للدبلوماسية والتفاعل والتواصل بين الثقافات. وإلى جانب هذه المتاحف فإنها تلعب دورا كبيرا في التعريف بكنوز الأمة ونفائسها التاريخية.

وأكد دارابي: المتاحف بمثابة «معرض تاريخي» لكل مجمع ورمز ودليل مرجعي للماضي يذكرنا بالهوية والتاريخ والثقافة والعادات والأفكار والمعتقدات، والمتاحف دليل على الحاضر والمستقبل، مع تعلم دروس الماضي والاعتماد على الحقائق التاريخية، يجب أن يكون لديهم فهم صحيح «للحياة والزمن». ويجب أن نربط هذا الارتباط التاريخي بطريقة جيدة. وتم افتتاح المعرض الذي يهدف إلى التعريف بتاريخ إيران القديمة وحضارتها المجيدة وتشجيع السياح الصينيين على السفر إلى إيران، يوم الخميس ١١ يناير الحالي، وسيكون مفتوحاً حتى نهاية شهر مارس عام ٢٠٢٤م.